عمان تسترد وجهها

في أوائل سنة ١٩٦٨، يلتقي زيادين بعمان الجديدة، «الشباب اللدائي في الشوارع بلباسهم المتميز، «البديل عن الانظمة المهزومة»، «تنهال عليهم التبرعات تعبيرا عن التعاطف الواسع» (ص١٥١).

وبالمقابل، هناك فهمي السلفيتي، ما زال يمسك بزمام الحزب، وقد احاط نفسه بأعوانه من امثال رشدي شاهين، الذي يروي الكتاب واقعة تخاذله وانهياره، لمع تجدد الاعتقالات سنة ١٩٦٦ وقع رشدي شاهين فريسة اليأس: «نحن نسير في طريق مسدود»، وتعهد لمدير المخابرات العامة الا يعود للعمل في السياسة، فأخرجه من السجن. فابتعد عن الحزب، وبعث برسالة تنضح بالتخاذل، مقترحا فيها تغيير اسم الحزب لأن مجتمعاتنا المتديّنة لا تحتمل احزاباً شيوعية». لكن السلفيتي صالحه وأعاده للمكتب السياسي. لقد كانت خيرة كوادر الحزب مجدداً في الزنازين آنذاك، وكان فؤاد نصار يتعالج في برلين.

وفي الكتاب يثبت زيادين رواية اخرى، عن السلفيتي وجماعته. ففي سنة ١٩٦٧ القى القبض على السلفيتي، لكن بسرعة جرى الاتفاق بينه وبين مدير المخابرات العامة، وعقدت الصفقة بينهم في بيت رشدي شاهين في نابلس، فبدأت عقب ذلك علاقات ودية بينهم وبين المخابرات، وبعد ذلك طرح السلفيتي كقائد للحزب، مشروعه، الذي لا يذكره الكتاب، بعقد مؤتمر وطني في الاردن يرأسه الملك، «لوضع خطة لتحرير المناطق المحتلة». وفي تلك الاثناء اقام ندوته المشهورة امام طلبة براغ، التي هاجم فيها الفدائيين «المغامرين»، وكتب مقالته سيئة الصيت في مجلة قضايا السلم والاشتراكية يتعرض فيها للمقاومة الفلسطينية.

لكن مع خروج المعتقلين من قادة وكوادر الحزب عقب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ومع عودة فؤاد نصار أمين عام الحزب آنذاك، ومن خلال نضال داخلي شاق، بدأ الحزب يتحرك باتجاه المسار الثوري، وأعيد الاسم السابق للجريدة المركزية (الجماهير)، بدل (التقدم)، وتم تشكيل فصيل الانصار. لكن احداث ايلول (سبتمبر)، وانشقاق السلفيتي ومجموعته، اعاقتا مسيرة الحزب، فلم يكن العمل العسكري قد ترسخت جذوره بعد، ولم يكن الحزب قد استعاد عافيته وجماهيريه آنذاك.

هنا برأيي تنتهي المادة الاساسية للكتاب، لان ما يسجله الكاتب بعد ذلك من عودة القمع والارهاب وتنظيم المجازر ضد الفدائيين والحركة الوطنية الاردنية، ومن بروز الروح الاقليمية التي اعتمد عليها النظام لتشديد قبضته على البلاد، ثم اثر حرب تشرين الاول (اكتوبر) على معنويات الجماهير في الاردن وتأثير احداث لبنان الدامية عليها، كل تلك الاحداث تحتاج الى عمل اخر حيث يمر عليها الكتاب مرورا سريعا.

ويبقى أن نقول، بأن هذا الكتاب قد أغنى، بحق، مكتبتنا العربية التقدمية، وانه انما ياتي في وقت، نحن في امس الحاجة فيه. الى مثله من الكتب؛ فبعيدا عن جو الابحاث والدرس، يضع زيادين بين ايدينا صورة حية عن نضال الشيوعيين في الوسط الفلسطيني والاردني وعن المواقف الشجاعة التي وقفوها في مواجهة نظام كرس نفسه لخدمة المخططات الامبريالية في المنطقة. فمن خلال سرد موضوعي بعيد عن الادعاء، لاحداث عاشها الكاتب، يقول لنا بكل بساطة: هؤلاء هم الشيوعيون، انهم لم يكونوا في اي يوم على هامش الاحداث بل انهم كانوا في خضمها وفي القلب منها خلال اعوام طويلة، وانهم قد بذلوا من التضحيات جلّها، وان غيابهم النسبي عن معمعان الصراع، انما جاء وليد ظرف عارض، وانهم قد عادوا لحمل راية الكفاح الوطني جنبا الى جنب مع فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية والاردنية من اجل تحقيق الاهداف الوطنية للشعبين الشقيقين وللشعوب العربية.

غطاس أبو عيطة